المكتبة الحديثة للأطفال

الشاب الوفي

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة الثانية عشرة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّني أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهي صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصًا منّي على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، في صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتسْهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ في اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصيَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصِه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا في هذه المجموعةِ ألوانًا من القصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبية ، والجغرافيةِ ، والتاريخية .

إن كلَّ ما في « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ مايرغبُه في القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصة حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المثُلِ العليا فى النواحى الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية ، فيمضىَ إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَة قراءتِها .

وَقدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوب ، وشرحتُ من الكلماتِ اللغويةِ ما صَعُب ، ووضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحة ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاة خيرَ ما يُهدُونَ إلى أبنائهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمى خيالَه ، وتسمو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربِّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لذةً وسروراً يشعُر بهما الكبارُ أنفسهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذه « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى جمهورية مصر العربية ، والشرق العربىّ .

أسأل اللهَ التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

القصة الأُولى

الشابُّ الوفيّ

انتهَى الشابُّ من دِراسته ، ولمَّا كان الاحتفالُ بعيدِ مِيلادِه أَهدَى إليه أَبوه – وكانَ من كبارِ التجّارِ وعُظماءِ رِجالِ المال – سَفينةً مُحمَّلةً بالبضائعِ ؛ ليسافِرَ بها إلى بلادِ الشرقِ للمتاجَرةِ فيما حَوَتْ من مُختلِفِ السِّلَعِ . وقَبلَ سَفرِه زَوَّدَه أَبوه بالنصائحِ قائلا :

« لقد انتَهيتَ الآنَ يا بُنَيَّ من حَياتِكَ الدِّراسيَّةِ ، فلْتَبدأْ حياتَك العَملية ؛ لترى ما كُتِبَ لكَ من حَظٍّ . ولقدْ عَرفتُ منك فى حياتِكَ الأُولى الجِدَّ والمُثابرةَ ، وبَرْهنتَ مُنذُ صِغرِكَ إلى يَوْمِنا هذا علىَ أَنك الفتَى الكثيرُ الآمالِ ، المتطلِّعُ إلى معالِى الأُمورِ ، المملوءُ

حزماً وعَزماً . وهٰذا ما جعَلَنى أَدفَعُ إليك ذٰلكَ الجانِبَ منَ المالِ للتجارةِ فيه ، وأَنَا بذلكَ قَريرُ العَينِ ، طيِّبُ النَّفسِ ، واثقٌ برَجاحةِ عَقلِك ، وحُسْنِ تصريفكَ للأُمورِ . فاذهبْ إلى حيثُ تَسْتقبلُكَ السعادةُ ، وباللهِ توفيقُك » .

فشكرَ الشابُّ لوالدِه تلكَ العاطفةَ النبيلةَ ، وهذا الحنانَ الفيَّاضَ ، وتَقبَّلَ الهَديَّةَ الثمينةَ : هديَّةَ والدِه ، شَاعرًا بالسرورِ بما سَيزاولُ من عَملٍ جديدٍ ، وحياةٍ حُرَّةٍ ، فيها مِقياسٌ لرُجولَتِه ، واختبارٌ لأَخلاقه ، وأَسرعَ فى الذَّهاب إلى سفينتِه الجميلةِ . وما هى إلا ساعةٌ حتى أَقلعَتِ السفينةُ ، وسارتْ حتى قابلَتْ سفينةً أَجنبيةً فى عرْضِ البحرِ .

فلما قَرُبتِ السفينةُ الأَجنبيةُ من سفينةِ الشابِّ سَمِعَ أَصواتاً ممزوجةً بالأَلَمِ والأَنينِ ، صَادرةً من السفينةِ الأَجنبيةِ ، فَنادَى الشَّابُّ رُبَّانَ السفينةِ

الأَجنبيةِ ، وسأَلَه : أَيها الصديقُ ، ما هذا الأَنينُ ؟ وما البكاءُ الذى أَسمَعُ ؟ أَجميعُ الركابِ مَرضَى يَئنُّون ، أَمْ هم من شدةِ الجوعِ يتأَوَّهون ؟ وماذا دهاهم ونزلَ بهمْ من الأَحداثِ والأَخطارِ ؟

فأَجاب الرُّبَّانُ الأَجنبىُّ : إِنَّ ما تسمَعُه هو أَنينُ المسجونين الذينَ سنأْخُذُهم إِلى السوقِ لبَيعِهم عَبيداً وأَرِقَّاء .

فصاحَ الشابُّ : « انتَظرْ قَليلًا يا سيِّدى ، ودَعْنا نُفكِّر . أَفى ٱستطاعتِنا أَن نتبادلَ التِّجارة » ؟ وانتقلَ الرُّبانُ الأَجنبىُّ إِلى سفينةِ الشَّابِّ ، ورأَى ما فيها من بضاعةٍ ، قبلَ أَن يُسلِّمَ ما لديه من عَبيدٍ مُقابلَ ما فى السفينةِ من بضاعة .

فلما ذهب الشابُّ إِلى السفينةِ الأَجنبيةِ ليتَسلَّمَ مَنْ فيها مِن الأَسرَى والعَبيدِ سأَلَ كلَّ أَسيرٍ عَن مَوطِنه ، وعَزمَ عَلَى تحرير هذه الرِّقابِ ومَنحِها ما تَصْبو إِليه ،

وما تميلُ إليه مِنَ الحُريَّة فأَرسلَ كلاً منهم إلى بَلدِه حُرًّا . ولم يَبقَ من المسجونينَ إلا فَتاةٌ وامرأَةٌ عجوزٌ لم يهتدِ الشابُّ إلى عُنوانِهما ، ولم يُوَفَّقْ إلى مَعرفةِ مَوطنِهما . وكلُّ ما عَلِمَه عنهما أَنَّ الفتاةَ ابنةٌ لقيْصَرٍ من القياصِرةِ ، وأَنَّ المرأَةَ العجوزَ مُربِّيةٌ لها ، وليسَ لدَيهما الآنَ أَملٌ أَكثرُ من الحصولِ على القوتِ بَعَرقِ الجبينِ فى بلادِ الغُربةِ . فرحمةً بالفتاة قال لها الشاب : «إذا قَبلتِ أَيتها الفتاةُ الزواجَ مِنِّى فلن تَكونى فى حاجةٍ إلى أَحدٍ» .

أُعجبَتِ الفتاةُ بِعطْفِ الشَّابِّ وحَدَبِه وشَفقتِه على الإنسانيةِ ، وحُسْنِ مُعاملتِه للأَسرَى والعبيدِ ، وتَضحيتِه بمالِه فى إطلاق سَراحِهم ، وتحريرهم من الرِّقِّ والعُبوديَّة . فتركَ ذلك كله فى نَفسِها أَثرًا عَميقاً ، وحُبًّا كبيرًا ، وتَقديرًا لإنسانيةِ ذلك الشابِّ ، وإكبارًا لمُروءَتِه ، فرَضِيَتْ به زَوْجاً لها .

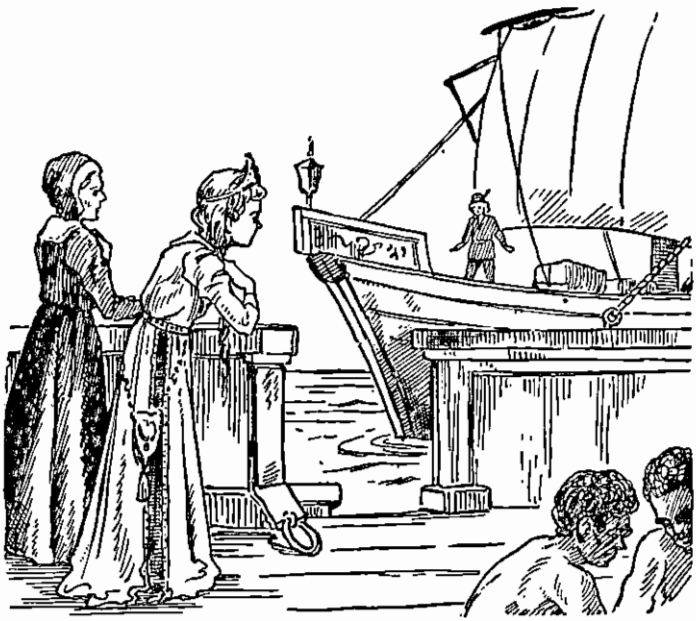

المسجونون يئنون ، والأسرى يبكون ، والفتاة ومربيتها فى حيرة

عاد الشابُّ إلى بلاده ، فقابلَه وَالدُه على الميناء أَشَدَّ ما يكونُ شَوْقاً إلى رُؤْيتِه ، وأَعظمَ ما يكونُ رَغبةً فى تَعرُّفِ أَخبارِ سفرِهِ ونَجاحِه فى تجارتِه ، ثم أَسرع الابنُ قائلا : « أَبى ، إنِّى واثقٌ بأَنِّى أَنفقتُ نقودَك فيما يُرضيك ، ويُوافِقُ الْحِكمةَ والسَّدادَ ؛ إذ اتخذتُها

وسيلةً لجعل الأَشقياءِ سُعداءٍ ، والعبيدِ من النَّاس أَحرارًا ، والأَذِلَّاء أَعِزّاء . أَنْفقتُها فى تحرير العَبيد ، وتفريجِ كُرَبِ المَكْروبين ، وقدْ أَحضرْتُ مَعى زَوْجاً كريمةَ الخُلق ، عَريقةَ الأَصلِ ، وهى وَحْدَها أَثمنُ من أُسطولٍ تجارىٍّ كاملٍ » .

انطوَى الوالدُ على هَمٍّ عميقٍ ، وأَخذ يُغالبُ ثَوْرةَ النفس التى اندلعَ لهيبُها ، وانتشَر أَثرُها بين جَوانحِه وضُلوعه ، وصارَ يَنظُرُ إلى زوجةِ ٱبنِه نَظرةً بَعيدةً عن كلِّ عَطفٍ ، ويَرمى ٱبنَه بالحُمق فى تصرُّفاته ، والخُرْقِ فى أَعمالِه ؛ إذ أَضاع أَمواله سُدًى .

وبَعدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمن ظَنَّ الأَبُ أَنَّ الابنَ قد ٱنتفَعَ بذلك الدّرس القَاسى ، وأَنه لن يَعُودَ إلى مِثلِ ما فَعلَ ، فأَعدَّ له سفينةً أُخرى ، وحمّلها كلَّ ما يُمكنُ من البضاعةِ . ووَدَّعَ الشابُّ زَوْجَهُ ، وتركَها فى كَفالةِ أَبيه ، وسارَ بسفينتهِ آملًا أَن يربحَ رِبحاً جَزيلاً ،

مُصمِّماً فى تدارُكِ ما فاتَه ، مُرتقباً[١] الخيرَ فى تجارتِه الجديدة ، ولكنَّ الشابَّ لَمْ يَكَدْ يَصِلُ بالسفينةِ إلى أَوَّلِ مِيناءٍ حتى رأى الجنودَ يسوقونَ الفُقراءَ إلى السجون سوْقاً عَنيفاً ، وشاهَد زَوْجاتِهم وأُمَّهاتِهم وأَطفالَهم يَبكونَ وراءَهم .

ولما عَلِمَ أَن هٰؤُلاءِ يُسَاقُونَ إلى السِّجنِ لعَدَمِ اسْتطاعتهم أَداءَ الضَّرائبِ الفادِحَة الكثيرةِ عاوَدَهُ عَطفه القديمُ ، وتَملَّكتْهُ الأَرْيحيَّةُ والمروءَة والنُّبْل ، فباع ما تحملُ سفينتهُ من بِضَاعةٍ ، وسَدَّدَ ما على هٰولاءِ الفقراءِ البائسينَ مِنْ ضَرَائِبَ ، ثمَّ عادَ إلى أَبيه بَعدَ فعلتِه التى فَعَلَها ، فاشتدَّ غضَبُ الوالد عَليه ، ولم يستطعْ صبرًا عَلَى ما حدثَ ، فطرد ابنَه وزَوجتَه ومُربِّيتَها العجوز من بيته ، وقال لهم :

« لاتنتظروا أَن أَمنحَكُمْ مليماً واحدًا ولوهَلكتمْ جوعاً ».

---

(١) منظراً .

ولكن أحدَ الجيرانِ الأوفياءِ عَطفَ على هؤلاءِ المطرودين ، وآوَاهم إلى مَنزِلِه ، واستَطاعَ أخيرًا أن يُصْلحَ بينَ الأبِ وابنِه .

وصَحَّت عزيمةُ الأبِ على أن يبلوَ[١] ابنَه البلاء النِّهائيَّ ويَختَبِرَهُ الإختبارَ الأخيرَ ، ويُمكِّنَه من الفُرصةِ الأخيرةِ ، فقدمَ له سفينةً ثالثةً مُحمّلةً بالبضائعِ ، وكلَّف أحدَ الرَّسامينَ أن يصوِّرَ وَجهَ زوجَةِ ابنهِ صورة كبيرةً ناطقةً ، لتكونَ نُصب[٢] عَيْنيْهِ دائماً ، تُذَكِّرُه أنَّ التَّفريطَ فى تلك البضاعةِ تفريطٌ فى حَياة الزوجيَّةِ السعِيدةِ .

حَمل الشاب تلكَ الصورة المكبَّرةَ مَعه فى سفره ، وقبلَ أن يُغادِرَ مَنزلَه وَيَترُكَه قال له أبوه : « أُنظر إلى هٰذه الصورةِ كلَّما أقدَمتَ على حُمْقٍ جديدٍ ، وتَذَكَّرْ أن هٰذه آخرُ فرصةٍ لكَ ، ولنْ يتَّسعَ

---

(١) يختبر .

(٢) أمام .

صَبرى لجَهْلِك بَعد ذلك ، واعلمْ أَن زوجَك ستموتُ جوعاً إذا أَخطأَك الحزمُ ، وأَنَّ الفُرصةَ ستكُونُ غُصَّةً إذا لم تنتهزْها .

سافرَ الشابُّ على بركةِ الله ، مُوَجِّهاً سفينتَه إلى القَصدِ ، حتَى وَصل بعدَ أَيامٍ طويلةٍ ضارباً فى عرضِ البحارِ إلى ميناءٍ عَظيم .

وفى أَثناءِ رُسُوِّ السفينةِ على رصيفِ ذلك الميناء ، رأَى الشابُّ رجُلاً ثريًّا يخطُرُ فى أَثمَنِ الملابسِ وأَفخرِها مُتأَمِّلا ، ينظر بعَين فاحصةٍ دقيقة ، كأَنما يَنشُدُ ضالَّةً ، أَو يرقُبُ أَمَلًا ، فدعاهُ الشابُّ إلى سَفينتهِ ، فلبَّى (١) الثَّرِىُّ الدُّعاءَ ، وَوطِئَتْ قَدماه السفينةَ . وبينما هوَ يُرسلُ النظرَ إذْ وَقَعَت عينُهُ على صورةٍ كبيرةٍ لفتاةٍ حسناءَ ، مُعلَّقة بناحية من نواحِى السَّفينةِ ، فسأَل الرجُلُ الشابَّ قائلا :

---

(١) أجاب .

«أَنَّى (من أَين) لكَ هذه الصورةُ ؟ وكَيف حصُلْتَ عَليها ؟ إنهاتُشبهُ صورةَ أَميرةٍ نَبحثُ عنها».

فقال الشابُّ : إنها صورةُ زوجى الَّتى أُعِزُّها ، وأَحمدُ الحظَّ السعيد الذى هدانى إليها .

ثمَّ حضرَ القيصرُ ورئيسُ الوزراءِ ، وعَلِمَا أَن زَوجَةَ الشَّابِّ لا بُدَّ أَن تكونَ هى الأَميرةَ المفقودةَ .

وبعدَ التحقُّقِ من ذلكَ فرِحَ القيصرُ الفَرحَ كلَّه ، وَوعَدَ الشابَّ أَن يُشركَهُ فى مُلكهِ ، ويقاسمه سُلطانَه ؛ تقديرًا لفَضْلِه . ثمَّ استعجَلَه فى إحضارِ زَوجته الأَميرةِ ، ووالدَيهِ الكريمين .

وأَرسلَ القَيصرُ رئيسَ وزارتِه مع صِهرِه الشَّابِّ يَحمِلُ معَه أَثمَن الهَدايا ، وأَطيبَ التحياتِ إلى والدِ الشابِّ ووالدتِه .

وَصَل الشابُّ ورسولُ القَيصرِ إلى حيثُ تُقيمُ أُسرةُ الشابِّ ، وحينَ علِمَ الوالدُ جَليَّةَ الخبرِ وحَقيقتَه سُرَّ

سرُورًا عَظيمًا أَذْهبَ كلَّ ما كان يُسَاوِرُهُ من أَوهامٍ وظنونٍ نحوَ ابنِه، ولم يَعُدِ الأَبُ يَشكُو من ابنِه حُمقاً، بل أكبَر منه هِمَّتَه، وما كانَ له من تَصرُّف مشكور، ونَظَرٍ ثاقبٍ. وشمِلَ[1] الأُسرةَ جميعَها فرَحٌ وغِبطةٌ وسُرورٌ، وقَصَدَ جميعُ أَعضائها إلى بلادِ القَيصرِ إجابةً لدعوتِه.

وبعد هذا الحادثِ أَخَذَتِ الغَيرةُ تَتَمَشَّى فى نَفس رئيسِ وزارةِ القَيصرِ، ويأْكلُ الحِقدُ قلبَهُ، فَعزَم على التَّخلُّصِ من الشابِّ، ليخلُوَ له وجهُ القَيصرِ، ويرتاحَ منْ منافِسٍ عظيمٍ جَعَله حُسنُ الحظِّ صِهرَ مَلكِ البلادِ، وشريكَه فى مُلكه.

أَخَذَ رئيسُ الوزارةِ يتحيَّنُ الفُرصَ وينتظرُها للغَدْرِ به. وذاتَ ليلةٍ كان الشَّابُّ ورئيسُ الوزارةِ يَنظرانِ إلى البَحرِ من فَوق ظَهرِ السفينة. وكان الشابُّ مُنحنِياً فى أَثناءِ تـأَمُّله، فدفَعَه رئيسُ الوزارةِ على حِين غَفلةٍ

(١) عمها.

دَفعةً قاسيةً أَلقته فى اليمِّ ، وَهُو البحر ، ثمَّ استمرَّت السفينة تسير بُسرعة ، وتركتِ الشابَّ يُصارعُ الأَمواجَ ، ويتَجرَّعُ غصَصَ الموتِ ، وقد فقد كلَّ أَمَلٍ فى التَّعلقِ بالسَّفينةِ ، ولم يكنْ هُناكَ أَحدٌ يعرِفُ ماجَرى له غير ذلك الغادرِ الذى مكَرَ بهِ .

ظَل الشابُّ يتغلبُ على الشدائدِ ، ويسبحُ فى قوةٍ وجَلدٍ وَصبرٍ ، يُتابعُ التّيار ، ويركبُ مَتنهُ (ظهرَهُ) وبعدَ مُصارعاتٍ عنيفةٍ ، ويَأْسٍ مُستحكمٍ ، أَلْقَتْه المقاديرُ على صَخرةٍ من الصُّخُور العاريةِ الجرْداءِ وَسطَ البحرِ . وَبقىَ على تلكَ الصَّخرةِ أَياماً يقاسى فيها البَرْد والجوعَ والظمأَ ، ولم يجِدْ ما يَسُدُّ به خَلَّتَه وحاجتَه ، ويُمسِكُ رمَقهُ غيرَ بقايا من السَّمكِ كانت تَقذِفُها الأَمواجُ نحوَه ، ثم لاحَ الفرَجُ وظَهرَ ، وبَدا اليُسْرُ باقترابِ قاربٍ للصيدِ منْ تلكَ الصَّخرةِ ، فَنادَى الشابُّ الصيادَ ، فأَقبلَ بقاربهِ ، وكانَ رَجلاً هَرِماً كَبيرَ

الشاب الوفى يرجو الصياد أن ينقله إلى الشاطىء على ظهر قاربه

السنِّ ، عَليه دَلائلُ البؤْس والشَّقاء . فَرجاه الشابُّ أَنْ ينقله إلى شاطئِ الأَمن على ظَهرِ قاربِه .

فقال الصيَّادُ أَعطِنى أَجرًا مناسباً لنَقلِكَ وإنقاذِك، وإيصالِك إلى بَرِّ السلامةِ . فأَجابَ الشابُّ : «إنى أَسِفٌ كلَّ الأَسَفِ ؛ لأَنى لا أَملِكُ سوَى هذه الملابسِ التى تراها علىَّ ، وليس معى شىءٌ يَصْلُحُ أَجرًا لَك ».

فقالَ الصيادُ : عِدْنى أَن تُعطيَنى نصفَ ما تملكُ فى المستَقبَل ، فوعَدَه الشابُّ ذلك . وقام الصيادُ بنَقلِه إلى الشَّاطئِ . وبَعد أَشهر قضاها الشابُّ فى أَسفار شاقَّةٍ وَصلَ إلى قصر القيصرِ وهو يَعرُج ، تكسُوهُ مَلابسُ قديمةٌ ، يكادُ الجوعُ يقتُلُه ، والمشقَّةُ تَقضى عليه . وسَرعانَ ما عُرِفَتْ شَخصيتُه ، وأَنه زَوْجُ الأَميرةِ المفقودُ . فسُرَّ القَيصرُ بقُدُومِه ، وَفرِحَ بذلك زوجَتُهُ وَوَالدَاهُ . ثم شَرَعَ الشابُّ يُنْهى إلى القيصر ويُبلِّغُه ما حدث . وَرجاهُ فى ضراعةٍ وَخُضوعٍ أَن يَعْفُوَ عن رئيس

وزَارتِه الخائنِ ، حتى يَتمَّ السرورُ ، ولا يُعكِّرَ الصَّفوَ مُعكِّرٌ . وصَرَّحت الأَميرةُ لأَبيها القَيصرِ بما حدَثَ من زَوْجِها فى سبيل إِطلاق سَرَاحِ الأَسرَى ، وفى دفعِ الضرائبِ للمسجونين ، فأُعجِبَ به القيصرُ أَيَّما إِعجابٍ (إِعجاباً كثيرًا) ، وصَمَّمَ فى أَن يتنازلَ له عن تاجِه ، ليَقضِيَ بقيةَ حياتِه فى هدوءٍ وسعادة . وقد تَمَّ ذلكَ ، وَأَصبح الشابُّ قيصرًا بيده الأَمرُ والنَّهىُ .

وبعدَ التتويجِ بيومٍ ظهرَ الصيادُ الهَرِمُ الكبيرُ السنِّ أَمامَ القَيصرِ الجديدِ ، وقال له : سيِّدى القَيصر ، لقد وَعدتنى ذاتَ مرةٍ أَن تمنحَنى وتُعْطِينى نصف ما تملِكُ ، فهل أَنتَ عندَ وَعدِك ، ورَهن كلمتك؟

وكان فى استطاعة الشابِّ أَو القيصر الجديد وقتئذٍ أَن يَأْمرَ جُندَه وحَرَسَه بطَرْدِ هذا الزَّائرِ الجرىءِ ، ولكنه آثرَ الوفاءَ وفَضَّلُه ، ولم يُطغِه السُّلطانُ عنِ البَرِّ

بالوعدِ ، وإن كانَ وعدًا فيه مقاسمةُ ذلك الصيّادِ القيصرَ فيما يملك .

فقالَ الشابُّ : حقًّا قد وَعدتك ذلكَ ، وستَجِدُنى وفيًّا . تَقَدَّمْ وانظُر إلى مُصَوَّرِ تلك المملكةِ ، ودعْنا نقْتَسِمُها ، ثم اذهبْ إلى الْخِزانةِ الماليةِ لتُقاسِمَنى وتُشَاركَنى ما فيها من مَال كريمٍ .

وبذلك أَصبحَ الصيادُ حاكماً ذا ثَراءٍ وغِنًى ، وصارَ فى عِزَّةٍ بَعْدَ هَوْنٍ وذُلٍّ ، وفى سعادةٍ بعدَ شقاءٍ وهَوان ، واستَبدَل بالفقر المدقِع الشديد غِنًى عريضاً ، ومُلكاً واسعاً . وانطَلقَ لِسانُه يقولُ :

سيِّدى القيصر : لَمْ أَرَ كاليومِ وفاءً وَبرًّا بالوعدِ. أَدامَ اللهُ مُلكَكَ ، ورحِمَكَ كما رَحِمْتَ غيرَك .

وحكمَ القيصرُ الشابُّ رعيَّتَه طولَ حياتِه حُكماً قويماً ، وساسَها سِياسةً عادلةً تمتَّعتْ فيها بالحريةِ والعدالةِ والرَّخاءِ .

أسئلة فى القصة :

(١) ماذا أهدى التاجر إلى ابنه عند ما انتهى من دراسته ؟

(٢) ماذا قال الأب لابنه عند ما أعطاه هديته ؟

(٣) من كان فى السفينة الأجنبية ؟ وكيف تصرف الشاب نحو من فيها؟

(٤) كيف قابل الوالد عمل ابنه ؟

(٥) ماذا عمل الشاب فى رحلته الثانية ؟

(٦) كيف تعرف القيصر على ابنته ؟

(٧) بماذا كوفئ الشاب على مروءته ؟

(٨) ماذا عمل رئيس الوزارة مع الشاب ؟

(٩) كيف نجا الشاب من الهلاك ؟

(١٠) بماذا كافأ من نجاه من الموت ؟

(١١) هل تحب أن تكون مثل هذا الشاب ؟ ولماذا ؟

(١٢) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها جملة مفيدة :
بوعده ، القيصر ، وَفى ، الشاب .

(١٣) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة .
هذا ، هذه ، هؤلاء .

القِصَّةُ الثَّانية

هلْ جزاءُ الإِحسانِ إلا الإِحسانُ

قالَ الْعبَّاسُ صاحبُ شُرْطةِ الْمأْمون : دَخَلْتُ يَوْماً إِلى مَجْلسِ أَميرِ الْمُؤْمنين بِبَغدادَ ، وبيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مُكبَّلٌ وَمُقَيَّدٌ بالْحَديدِ ، فلمَّا رَآنى قال لِى: ياعَبَّاسُ ، قلتُ : نَعَمْ يا أَميرَ الْمؤمنين . قالَ : خُذْ هٰذَا إِلَيْكَ فاحْتفِظْ بِه إِلَىَّ فى غَدٍ ، واحترِزْ عليه كلَّ الاحْتِرَاز .

قال العبَّاسُ : فَدَعَوْتُ جَمَاعَةً فَحملوه إلى منزلِى: لأَنه لم يَقْدِرْ أَنْ يتحَرَّكَ ، ثم سأَلْتُه عن قَضِيَّتِه وعن حالِهِ ، ومنْ أَيْنَ هُوَ ؟ فقالَ : أَنا من دِمَشْقَ .

فقلْتُ جَزَى اللهُ دِمَشْقَ وأَهْلها خيرًا . فمن أَنت من أَهْلها ؟

قال : وعَمَّن تسأَل ؟ قلتُ : هَلْ تعرفُ فُلاناً ؟

قال : وَمنْ أَينَ تعرف ذٰلك الرجل ؟

فقلت : كانَ لى معهُ قضيةٌ ، فقال : لن أَذكرَ لك شيئاً عنه حتى تعرِّفنى قضيتكَ معه . فقلتُ : كنتُ مع بَعضِ الوُلاةِ بدمشقَ ، فبَغى أَهلها وَظَلَمونا ، وَخرَجُوا علينا ، حتى إن الوالىَ هَرَبَ هُو وَأَصْحابُه ، وهربتُ فى جملةِ القومِ ، فبينما أَنا هاربٌ فى بعض الدرُوبِ إذا جماعةٌ يَعدون ويجرونَ خلفى ، فما زلْتُ أَعْدُو وأَجرِى أَمامَهُمْ حتى فتُّهُمْ ، فمررْتُ بهذا الرَّجل الذى ذكرته لك وهُو جالسٌ على بابِ دارِهِ ، فقلت أَغِثْنِى أَغاثَكَ اللهُ . قال : لا بَأْسَ عليكَ . اُدْخُل الدَّار . فدخَلْتُ ، فقالتْ زوجتُهُ : اُدخلْ تِلك المقصورةَ ، فدخلتها . ووَقَفَ الرَّجلُ على باب الدارِ ، فما شعرْتُ إلَّا أَنه قد دَخل والرِّجالُ معه يقولون : هُو واللهِ عندك . فقال : دونكُم الدارَ ففتِّشوها . ففتَّشُوها حتى لمْ يَبقَ سِوَى تِلكَ المقصورةِ وامرأَتُه فيها . فقالوا :

هُو هاهُنا فصَاحَتْ بهم ونهرَتهُمْ ، وزَجرَتْهُم ، فانصرفُوا.

وخرجَ الرَّجلُ وَجلسَ على بابِ دارهِ سَاعةً وَأَنا قائمٌ أَرْجفُ ، لا تحمِلنى رجلاىَ من شِدة الخوفِ .

فقالت المرأَةُ : اِجلسْ لا بَأْسَ عليك. فجلستُ ، فلَمْ أَلْبثْ حتَّى دخلَ الرجلُ فقال : لا تخَفْ ، قد صرَفَ اللهُ عنكَ شَرَّهمْ ، وصِرْتَ إلى الأَمْنِ والدعةِ إن شَاءَ اللهُ تَعالى . فقلتُ له : جَزَاكَ اللهُ خيرًا .

فما زَال يُعاشُرُنى أَحسنَ مُعاشرةٍ وأَجْمَلها ، وَأَفرَدَ لى مكاناً فى دَاره ، وَلم يحوجْنى إلى شىءٍ ، وَلمَ يَفترْ عن تَفَقُّدِ أَحوالى ، فأَقمتُ عندهُ أَربعةَ أَشهر فى أَرْغَدِ عيشٍ وأَهْنَئهِ ، إلى أَن سَكَنَتِ الفِتْنَةُ ، وَهَدأَتْ وَزَالَ أَثرُهَا .

فقلتُ له : أَتأْذنُ لى فى الخرُوجِ حتى أَتفقدَ حالَ غِلْمانى ، فلعلِّى أَقفُ منهم على خبر ؟ فأَخذَ علىَّ المواثِيقَ بالرُّجوعِ فخرَجتُ وطلبتُ غلمانى ، فلَمْ أَرَ

لَهُمْ أَثَرًا ، فرجعْتُ إليه ، وَأَعْلَمْتُه الخبرَ ، وهو مع هٰذا كُله لا يَعرِفنى ولا يَسْأَلُنى ، وَلا يَعْرِفُ اسْمى .

فقال لى : عَلَى أَىِّ شىءٍ تَعْزِم ؟ فَقُلتُ : قد عَزَمْتُ على التَّوجُّهِ إلى بَغدادَ .

فقال : إنَّ القافلةَ بعدَ ثلاثة أَيامٍ تخرُجُ ، وَهأَنذَا قد أعلمتكَ . فقلتُ له : إنكَ قد تفضلتَ علىَّ هذه المُدَّة ، ولكَ علىّ عهدُ الله أَنِّى لا أَنسى لك هذا الفضلَ وَلأُوَفِّيَنَّكَ ما استطعتُ . فدعا غُلاماً له أَسْودَ ، وقالَ له : أَسْرِج الفرسَ . ثمَّ جهزْ آلَةَ السفَر .

فلما كان يومُ خُروجِ القافلةِ جاءنى فى السَّحَر ، قبيلَ الصبحِ ، وقالَ لى : يا فلان : فمْ ؛ فإنَّ القافلةَ تخرُجُ الساعةَ ، وأَكْرَهُ أَنْ تنفردَ عنها فقلتُ فى نفسى : كيفَ أَصنع ؟ وليس معى ما أَتزَوَّدُ به ، ولا مَا أَكْرى به دابَّةً أَرْكبها ، ثم قمْتُ فإذا هُوَ وامرأته يحملانِ كارَةً [1] من أَفْخرِ الملابس ، وخفّينِ

(١) بقجة .

جديدين ، وآلةَ السفرِ ، ثمَّ جاءَ لى بسيفٍ ومنطقة فشدهما فى وَسَطى ، ثمَّ قَدَّمَ بَغْلاً فحمَلَ عليه صُنْدُوقين، وفوقَهُما فَرْشى، وأَخبرَنى بأَنَّ فى الصُّنْدُوقين خمسةَ آلافِ دِرْهَم ، وقَدَّم إِلَىَّ الفَرَس الَّذِى كانَ جَهَّزَهُ ، وقال: ارْكَبْ ، وهذا الغُلَامُ الأَسْوَدُ يَخْدُمُكَ ، ويَسُوسُ فرسَك . وأَقبَلَ هُوَ وَامْرَأَته يَعْتذرانِ إِلَىَّ من التَّقْصِير فى أَمْرِى ، وركِبَ معى يُشَيِّعنى .

وانْصرفْتُ إِلى بغْدَاد وَأَنَا أَتَوَقَّعُ خبَرَهُ ؛ لِأَنِّى بعَهْدِى لهُ فى مجازَاته ومُكافأَتِه ، واشْتغلْتُ بأَمرِ أَميرِ المؤمنين ، فلَمْ أَجدْ فراغاً أُرسِلُ إِليْهِ فيه من يَكْشِفُ خبَرَهُ . فَلِهٰذا أَنَا أَسأَلُ عنه .

فلمّا سَمعَ الرَّجلُ الحديثَ قال : لقدْ أَمْكَنَكَ اللهُ تعالى من الْوَفاءِ له ، ومُكافأَتِه على فعله ، ومُجازاتِه على صُنعهِ ، بلا كُلْفةٍ عليْك ، ولا مَئُونَةٍ تَلْزَمُكَ ، فقُلتُ : وكيفَ ذٰلك ؟

قال : أَنا ذٰلك الرَّجل . وإنما الضُّرُّ الذى أَنَا فيه غَيَّرَ عليْكَ حالى ، وما كنْتَ تعْرِفُه منِّى . ثمَّ لمْ يَزَلْ يذكُرُ لى تفصيلات إقامتى عنْدَهُ حتى أَثبتُّ معْرِفتهُ . فَما تمالكْتُ أَنْ قمتُ ، وَقبَّلْتُ رأْسَه ، ثم قلْتُ له . فما الذى آلَ بكَ إلى ما أَرَى ؟

فقال : هاجتْ بِدِمشقَ فِتْنَةٌ مثْلُ الفِتْنةِ التى كانتْ فى أَيَّامِك ، فنُسبَتْ إلىَّ ، وبَعثَ أَميرُ المؤمنين بجيُوشٍ فأَصْلَحُوا البَلد ، وأُخِذْتُ أَنا وضُرِبتُ إلى أَنْ أَشْرفتُ على المَوْتِ ، وقُيِّدْتُ ، وبُعثَ بى إلى أَمير المؤمنينَ ، وأَمْرى عنده عَظيمٌ ، وخطبى لَدَيْهِ جَسِيمٌ ، وهو قاتِلِى لا مَحَالةَ . وقد أُخْرِجْتُ من عنْدِ أَهْلى بلا وَصِيَّةٍ ، وقدْ تبعَنى من غِلمَانى منْ ينْصَرفُ إلى أَهْلِى بخبرى ، وهو نازلٌ عنْدَ فُلانٍ ، فإنْ رَأَيتَ أَنْ تَجْعلَ من مكافأَتِك لى أَن ترْسَلَ مَنْ يُحْضِرُهُ لى حتى أُوصِيَه بما أُريدُ فقد جاوَزْتَ حَدَّ المُكافأَةِ ، وقمت لى بوفاءِ عَهْدك .

قالَ العباسُ : قُلْتُ : يَصْنعُ اللهُ خيرًا . ثمَّ أَحْضرَ حَدّادًا فى اللَّيلِ فَكَّ قُيودَهُ ، وأَزَالَ ما كانَ فيهِ من الأَنكال والقُيودِ ، وأَدْخلَهُ حَمّامَ دارِه ، وأَلْبَسَهُ من الثِّيابِ ما احْتَاجَ إِليْه ثمَّ أَرْسَلَ مَنْ أَحْضرَ إِليهِ غُلامَه ، فلمَّا رآهُ جعَلَ يَبْكِى ويُوصِيه ، فاستَدعَى العباسُ نائبَهُ وقال : عَلَىّ بالْفَرَس الفُلانىّ ، والبغْلةِ الفُلانيَّة ، حتى عَدَّ عشْرًا من الدوابِّ ، ثمّ عشرَةً من الصَّناديق ، ومن الكِسْوة كذا وكَذا ، ومنَ الطَّعامِ كَذاو كَذا ، ثمَّ أَحْضرَ لى بَدْرَةً [1] وكيساً فيهِ خمْسَة آلاف دينار . وقال لنَائبه فى الشُّرْطةِ : خُذْ هٰذا الرجلَ ، وَسَيِّعْهُ إِلى حَدِّ الأَنْبار [2] .

فقُلتُ له : إِنَّ ذَنْبى عِنْدَ أَميرِ المؤمنينَ عَظيمٌ ، وخَطْبى جسيمٌ ، وإِنْ أَنْتَ احْتَجَجْتَ بأَنِّى هَرَبْتُ بَعثَ أَمير المؤمنينَ فى طلبى كلَّ مَنْ على بابِه ، فأَرادُوا قتْلى .

---

(١) البدرة ، بفتح الباء : عشرة آلاف درهم . (٢) بلد قديم بالعراق .

فقالَ لِي : اُنْجُ بنفْسكِ ، ودَعْنى أُدَبِّرُ أَمْرِى .

فقُلْتُ : واللهِ لا أَبْرَحُ بغْدَادَ حتى أَعْلَمَ ما يَكُونُ من خَبَرِكَ ، فإن ٱحْتَجْتَ إلى حضُورِى حضَرْتُ .

فقالَ لِنَائبه : إنْ كانَ الأَمْرُ على ما يَقول فلْيكنْ فى مَوْضعِ كَذَا ، فإنْ أَنا سَلِمْتُ فى غَدَاةِ غَدٍ أَعْلمْتُه ، وإنْ أَنَا قُتِلْتُ فقدْ وَقَيْتُه بنفْسِى كما وَقَانى بنفْسِه . وَأَنْشُدكَ اللهَ أَلَّا يذهَبَ من مالِهِ دِرْهمٌ ، ولْتَجْتَهِدْ فى إخراجهِ من بغْدادَ .

قال الرجُلُ : فأَخَذَنى نائبه . وصَيّرَنى فى مكانٍ أَثِقُ به ، وتفَرَّغَ العَبَّاس لنفسِه وتَحنَّطَ ، وجَهَّزَله كفَناً .

قال العباسُ : فلَمْ أَكدْ أَفرُغُ من صَلاة الصُّبحِ إلَّا وَرُسُلُ المأْمُون فى طَلَبى يقولُون : يَقولُ لكَ أَميرُ المؤمنينَ : هاتِ الرَّجُلَ معَكَ وقُم .

قال العباسُ : فَتوَجَّهتُ إلى دارِ أَميرِ المؤمنين ، فإذَا هوَ جَالِس وعلَيه ثيابُه ، وهو ينْتظِرُنا . فقال :

أَيْنَ الرجُلُ ؟ فَسَكتُّ . فقالَ : وَيْحكَ ! أَينَ الرَّجُلُ ؟

فقلْتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، اسْمَعْ مِنِّى . فقال : لِلّهِ عَلَىَّ عَهْدٌ لَئنْ ذكَرْتَ أَنَّهُ هَرَبَ لَأَضْرِبنَّ عُنُقكَ . فقُلْتُ : لَا واللهِ يا أَميرَ المؤمنينَ ما هَربَ ، ولكِن اسْمعْ حديثى وحديثَهُ ، ثمَّ شَأْنَكَ وما تريدُ أَنْ تفْعَلهُ فى أَمْرِى . فقالَ : قُلْ . فقُلتُ :

يا أَميرَ المؤمنينَ ، كانَ منْ حديثى معهُ كيْتَ وكيْتَ ، وقصصْتُ عليه القِصَّة جميعَها . وعَرَّفْتُه أَنَّنى أُريدُ أَن أَفِىَ لهُ ، وأُكافِئَهُ عَلَى ما فعَله مَعى . وقلتُ أَنَا ومولاىَ أَميرُ المؤمنين بين أَمْرَيْنِ ؛ إِمَّا أَن يَصْفحَ عنِّى فأَكونَ قدْ وفَيْتُ وكافأتُ ، وإما أَنْ يَقتُلنى فأَقِيَهُ بنفْسى . وقدْ تحنَّطْت ، وها هُو ذا كفَنى يا أَميرَ المؤمنين .

فلمَّا سَمِعَ المأْمونُ الحديثَ قال : ويْلَكَ ! لا جَزَاكَ اللهُ عن نفْسِكَ خَيْرًا . إِنَّهُ فعَلَ بكَ ما فعَلَ

منْ غَيْرَ معْرِفَةٍ ، وتُكافئُه بعدَ المعرفةِ وطولِ العهدِ بهذا لا غيْرُ . هلَّا عرَّفْتنى خبرَه . فكُنَّا نُكافئُه عنْكَ وَلا نقصِّرُ فى وفائِك له ؟

فقلتُ : يا أَميرَ المومنين إنُه ها هُنا . وقد حَلفَ أَلَّا يبْرَح المدينةَ حتى يعْرِفَ سلامتى . فإن احْتجْتَ إلى حُضورِه حضَر .

فقال المأْمونُ : وهذهِ مِنَّةٌ أَعظمُ من الأُولى . اذهَب الآنَ إليْه ، فطيِّبْ نفْسَهُ ، وسكِّنْ رَوْعَهُ ، وائتنى به ، حتى أَتولَّى مُكافأَتَهُ .

قال العبَّاسُ : فأَتيْتُ إليْه ، وقلتُ لهُ : ليَزُلْ خَوْفُكَ . إن أَميرَ المؤمنين قال كَيْتَ وكَيتَ .

فقالَ : الحمدُ لله الذى لا يُحْمَدُ على السَّرَّاءِ والضرّاءِ سِواه . ثمَّ قامَ فصلَّى ركْعَتَيْن ، ثم ركِبَ وجئْنا فلمَّا مثلَ ووقفَ بينَ يدَى أَمير المؤمنينَ أَقبلَ عليْه . وأَدْناهُ وقرَّبهُ منهُ ، وحدَّثَهُ حتى حَضر الغِذاءُ ، وأَكل معه ، وأَجزَل له العَطاءَ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) ماذا كان قد حدث للعباس فى دمشق ؟

(٢) لماذا لم يكافئ من أحسن إليه ؟

(٣) كيف أتيحت له الفرصة ليرد الجميل ؟

(٤) متى رد الجميل ؟

(٥) ماذا صنع العباس مع الرجل المقبوض عليه ؟

(٦) إلى أى حد بلغت مروءة الرجل وخوفه على العباس ؟

(٧) ماذا صنع أمير المؤمنين إزاء الرجلين ؟

(ب) ضع أسئلة للأجوبة الآتية :

(١) أنا من دمشق .

(٢) وقف الرجل على باب الدار .

(٣) مكثت عنده أربعة أشهر .

(٤) إن القافلة ستخرج بعد ثلاثة أيام .

(حـ) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة :

الصبح ، سمع ، الحديث ، وجد .

القِصَّة الثَّالِثَة

الطَّاحونةُ العجيبةُ

مِمّا يُحكى أَنه كان من قديم الزمانِ أَخوَانِ ، أَحدُهما سعيدٌ كثيرُ النِّعمة ، عظيمُ الغِنى ، يَملِكُ الأَموالَ الكثيرة ، والخدمَ والعبيدَ والآخرُ مُعدِمٌ فقيرٌ لا يملكُ قوتَ يومه . وفى ليلةِ عيدٍ من الأَعيادِ لم يجد الفقيرُ ما يوسِّعُ به على عيالِه من طعامٍ ولباسٍ وشَراب ، ففكَّرَ طويلًا فيمنْ يَذهبُ إليه ، وأَخيرًا استحسنَ أَن يذهبَ إلى أَخيه الغنِيِّ يسأَلُهُ الإِحسانَ والجودَ والعطفَ ، فى هذه الليلةِ السعيدة المُباركة . وكان ينتظِرُ من أَخيه الغنىّ أَن يرِقّ لحاله ، ويعطِفَ عليه وعلى أَولادِه ، ويُعطيهم شيئاً ممَّا عِنده ، أَو يناوله بعضَ النقود ليشترىَ بها ما يحتاجه ، ولكنّه لم يُعطِه شيئاً ، ولم

يَكْتفِ بذلك ، بَل طَردَه وأمرهُ أَلَّا يعودَ إليه مرّةً أُخرى.

خرج الأَخُ الفقيرُ باكياً حَزيناً ، يشكو إلى ربِّه قَسْوةَ أَخِيه ، ويدعو اللهَ أن يَتَدَارَكَ بِرَحمتِه الواسعةِ أُسْرَته المسكينةَ فى ليْلةِ العيدِ ، ولكنَّ هٰذا المسكينَ لم يَرجعْ إلى منزِله ؛ لأَنه خافَ أَن يعودَ إلى أَطفالِه الصِّغارِ ، وليْسَ فى يدهِ قوتٌ لهم . ولا شيْءَ عنده يُفرِحُهُم به . أَخذَ المِسكينُ يَمْشى طولَ اللَّيل شَارِدَ اللُّبِّ والْعَقلِ مُشتّتَ الفِكرِ ، لا يَعرِفُ إلى أَينَ يَسِيرُ. واستمرَّ كذلكَ حتى دخلَ مدينةً عجيبةً لا يَعرِفُ مَنْ فيها . وحينما كان يَسيرُ فى أَحدِ شوارعها قابلهُ رجلٌ عَرّاف[1] ، فأَعطاه قطعةً من المعدِنِ ، غريبَةَ الشَّكْلِ ، وقال لهُ : إذا دخَلت هذا المنزلَ العظيمَ الذى بجوارِك فإنك ستجدُ شخصاً يُقابلُك ، وسيعرضُ عليك أَن يأْخذَ منك قطعةَ المعدِنِ ، ويعطيَكَ الطاحونة السِّحْريةَ

(١) ذكى يدعى المعرفة .

العجيبةَ ، فإن فعلَ ذلك وعرضَ عليك الطاحونةَ فوافقه ، ولا تترَدَّدْ فى إجابةِ طلبهِ ؛ فلك فِيها منافعُ كثيرةٌ ، وخيرٌ عميمٌ (١) ويمكنُك أن تنتفعَ بها أنتَ وأولادُك .

اطمأنَّ الفقيرُ إلى كلامِه ، ودخلَ ذلكَ المنزلَ ، ثُمَّ خرجَ ومَعه الطاحونةُ السِّحريَّةُ ، وكان العرَّافُ ينتظرُه بالبابِ ، فوقَفه ، وبيَّن له كيفَ يستخدِمُ هذه الطاحونةَ ، وشرح له طريقةَ الانتفاع بها ، فشكر له الفقيرُ معروفَه .

رجعَ الفقيرُ إلى منزلِه يَجُرُّ الطاحونةَ ، وعندما رآهُ الأَطفالُ فرِحُوا وهلَّلُوا وقالوا : لقد جاءَنا والِدنا بالخيرِ الكثير ، وأَقبَلوا عَليه ، وتجمَّعوا حولَه ، وأَبوهم يَبتسِمُ ، ويقولُ : الحمدُ لله .

ولما اسْتَقَرَّ الأَبُ فى منزلِه بجوارِ أَطْفاله الجياعِ أَدارَ الطَّاحونةَ فِى الحال : فأَخرجَتْ من صُنوفِ

(١) كثير .

المآكل وأنواع الشَّرابِ ، ما لذَّ وطَابَ ، خَرجَ منها دَجاجٌ محمر ، وأُرزٌ بالزبيب ، وفطائر وحَلوى ، ومُرَبَّى ، وفواكهَ طازجةٌ ومُسكَّرةٌ ، فأَخذَ الأَطفالُ وأُمَّهُم يَلتهمون الطَّعامَ التِهاماً ، حتَّى امتلأَتْ بطونُهم ، ونَظروا إلى أَبيهم فى دَهشةٍ وسرورٍ ، وقال أَحدُهم : أَنتَ بطلٌ يا والدى . وقال الثانى : أَنتَ عظيمٌ ياأَبى. وقال الثالث : مِن أَين أَحضرتها ؟ والوالد مسرور مبتهج.

ثمّ ناموا فَرحينَ مسرورينَ ؛ شاكرِينَ لوالدِهم سعْيَه الكريمَ فى إسعادِهم وإِطْعامهم .

ولكنْ لم يلْبَثْ أَن ترامى نبأَ [1] هذه الطاحُونةِ إِلى أَخى الفقيرِ ، وهو ذلك الغنىُّ السعيدُ الذى ضَنَّ [2] عليه بالطَّعامِ فى ليلةِ العيدِ ، وكانتْ لذلك الغنىِّ مِساحاتٌ واسعة من الأَراضى التى لم تُزْرع لِقلَّةِ الماءِ ، فعرضَ على أَخيه أَن يَشترِىَ منه الطَّاحُونةَ بخمِسمائةِ

(١) خبر .
(٢) بخل عليه .

الطاحونة العجيبة تخرج أنواع الطعام والشراب فلئت الحجرة بما لذ وطاب

جُنَيهٍ ، لينتفعَ بها فى إرواءِ أَراضيه ، فرفض بيْعَها ، ولكنَّه أَعارها إياهُ لتكونَ تحتَ تصرُّفِه ، ونَسِى ذلك المسكينُ الطيِّبُ القلبِ أَن أَخاه هذا هو الذى طردَه وحرَمهُ وحَرَمَ أَطفاله الطعامَ ، وَهُمْ جياعٌ فى ليلة العيدِ .

أَخذ الأَخُ الغنىُّ الطَّاحونة ، ثم أَدارها ؛ لتخرج له ماءً لإرواءِ أَراضيه الواسعةِ ، فأَغرقَها ، وجعلها مُستَنْقَعاً كبيرًا ، وبركةً واسِعةً ، فاسْتغَاثَ بأَخِيه الفقير ، فوَقَفها ، وعادَ بها ثانيةً إلى منزله .

رجع الفقيرُ بالطَّاحونةِ إلى منزلِه ، وكان قريباً من شاطئِ البحْرِ ، فسمعَ عن الطَّاحونةِ رُبَّانُ إحْدى السُّفُن ، التى تقوم بنَقْلِ الملح إلى البلادِ النَّائيةِ[1] ، فتوجَّه إلى منزل صاحبها ، واستأْذَنَهُ فى مُشاهدةِ تلكَ الطَّاحُونةِ الغريبة العجيبة ، فأَذِنَ لهُ ، وعنْد ما رآها الرُّبَّانُ ودارتْ أَمامه سُرَّ منْها ، وتعَجَّبَ كلَّ العَجَبِ ،

(١) البعيدة .

ثم انصرفَ بَعْدَ أَن أَكرمَه الفقيرُ ، وحيَّاهُ أَحسنَ تَحيَّةٍ .

وحين أَقبلَ اللَّيْلُ ، وانتشرَ الظَّلامُ ، انتهزَ الرُّبَّانُ تلكَ الفُرْصةَ الذَّهَبيَّةَ ، وذهبَ إلى منزل الفقير من غَيْرِ أَن يَشْعُرَ به أَحدٌ : فَسرق الطَّاحُونةَ ، ووَضَعَها فى سَفينَتِه ، ثم أَدارَها ، وأَمَرَها بأَنْ تُخْرِجَ لهُ مِلْحاً ، فأَخَذَ الملحُ ينزلُ بكثرةٍ حتى امْتلأَت السفينةُ به ، ولما حاوَلَ أَنْ يَقِفَها لم يَسْتطيع ، واستَمرّ المِلْحُ ينزلُ حتى غَرِقت السفينةُ فى قاعِ البَحْر ، وغَرِقَ مَعَهَا رُبَّانُها الخائنُ السَّارِقُ .

وعِنْد ما استيقظَ الأَخُ الفقيرُ من نوْمِه لم يجدْ طاحونَتَه ، فحَزِنَ وبَكى على سُوءِ حَظِّه ، ولكنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ ، ولم يَقطَع الأَملَ فى العُثور عَليها ، وأَخذَ يبحثُ عن طاحونَته ، ولكن بَحْثَهُ لم يأْتِ بفائدةٍ فى الأَيام الأُولى ، وكاد اليأْسُ يعودُ إليه ثانيةً ،

الطاحونة ينزل منها الملح بكثرة حتى امتلأت السفينة وغرقت

لَكن الله لطف به ، ولم يَحْرِمْهُ خَيْراتِ الطاحونَةِ التى تفضل بها عليه ؛ ففى يوم من الأَيّام كان يسير على شاطىءِ البحرِ باحِثاً عن طاحونتِهِ ؛ إِذْ أَبصَر شيئاً قد غَطَّته الرِّمالُ ، وبقى منه جزءٌ قد انكشَف عنه الرَّمْلُ بِفعْلِ الرِّياحِ ، فأَسرعَ الفقيرُ نحوَ ذلك الشىء ، وما كَادَ يفحصُ عنه حتى طارَ فرحاً ؛ لأَنَّهُ وجَد طاحونَتَه ، ووَجَد بالقربِ منها جُثَّة الرَّبَّان السَّارِقِ ، كما رَأَى وَسطَ الماءِ قريباً من الشاطىءِ بَقَايا السفينةِ الغَارقةِ ، فعرفَ الأَخُ الفقيرُ ما كانَ من أَمر هذا الرُّبان الخائنِ ، وأَدركَ أَن الله تعالى قد انْتَقَمَ منْه بهذهِ النِّهايةِ المحزنةِ ، وذٰلك المصير السيِّئ المؤْلمِ . فشكَر الله أَن رَدَّ إِليهِ طَاحونتَهُ ، وعادَ بها إِلى منزلِهِ . وفى الحالِ أَدارَها ، فأَخْرجت نقوداً مِن الذهَبِ والفضَّةِ ، مما جعله يعيشُ هو وزوجُه وأَطفالُه عيشةً سعيدةً رغْدًا .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) كيف كانت معاملة الأخ الغنى لأخيه الفقير ؟

(٢) ما الذى أخرج الفقير من بؤسه ؟

(٣) لماذا رد الأخ الغنى الطاحونة للأخ الفقير ؟

(٤) لماذا غرقت سفينة الربان الطامع ؟

(٥) كيف استرد الفقير طاحونته ؟

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها جملة مفيدة :

الفقير — إلى — رجع — الطاحونة — منزله — يجر .

(حـ) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة :

خرَج — الأب — الملح — السفينة — أخذَ — شكرَ .

القِصَّة الرابعة

قصةُ الفُولة

قيلَ إنَّ جَعْفَرًا الْبَرْمَكِيَّ حِينَمَا صَلَبَه هٰرونُ الرشيدُ أَمَرَ بِصَلْبِ كُلِّ مَنْ نَعَاهُ[1] أَوْ رَثَاهُ ، فَكَفَّ[2] النَّاسُ عَنْ نَعْيِه وَرِثَائِه ، فَاتَّفَق أَنَّ أَعْرابيًّا كان بعيدًا بِالبادِيَة ، وفِى كُلِّ سنَةٍ يأْتِى بِقَصِيدَةٍ إِلَى جَعْفر الْبَرْمَكِيِّ ، فيُعْطِيه أَلفَ دِينارٍ جائِزَةً عَلَيْها ، فَيَأْخُذُها وَيَنْصرفُ ، ويَسْتَمِرُّ يُنْفِقُ منْهَا عَلَى أُسْرَتِهِ إِلى آخِرِ العامِ .

فجاءَهُ ذَلكَ الْأَعْرابِىُّ بِالْقَصِيدةِ عَلَى عادتِه ، فَوَجَدَهُ مَصلوباً . فَذَهَبَ إِلى المَحَلِّ الَّذِى صُلِبَ فِيه ، وَأَنَاخَ[3] راحِلَتَهُ ، وَبَكى بُكاءً شَديدًا ، وحَزِنَ عَلَى جَعْفَرٍ حُزْناً عَظيماً ، وَأَنْشَدَ قَصِيدتَه ، ثمَّ نَامَ .

فَرَأَى جَعْفَرًا الْبَرْمَكِيَّ فى المَنامِ يَقولُ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ

---

(١) أخبره بموته . (٢) امتنع . (٣) أبركها .

أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ ، وَجِئْتَنَا عَلَى ما رَأَيْتَ ، ولٰكنْ تَوَجَّهْ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْأَلْ عَن رَجُلٍ اسْمُهُ كذَا مِنْ تُجَّارِ الْبَصْرَةِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ جَعْفَرًا يُقْرِئُكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : أَعْطِنِى أَلْفَ دِينَارٍ بِأَمَارَة الفُولَةِ .

فلَمَّا اسْتيْقظَ الأَعرابىُّ مِنْ نَوْمِه وَجَّه إِلَى البَصْرَةِ ، ثمَّ سَأَلَ عَن ذلِكَ التاجِرِ وقَابَلَهُ ، وبلغَهُ ما قالهُ جَعْفَرٌ فى المَنَام : فَبكى التَّاجِرُ بُكاءً مُرًّا ، وأَكرمَ الأَعْرابىَّ كُلَّ الإِكرامِ ، وأَحْسَنَ مَثْواه[1] ، ومَكثَ عِنْدَه ثَلاثةَ أَيَّامٍ مُكرَّماً مُبَجَّلًا[2] . ولمَّا أَرادَ الانْصِرَافَ أَعْطَاهُ خَمْسمائَة دينارٍ وأَلْفاً ، وقال لَهُ : إِنَّ الأَلفَ قَدْ أَمَرَ لكَ بِهَا : والْخَمْسمائة إِكْرامٌ مِنِّى لك . ولَك عَلَىَّ فى كُلِّ سَنَةٍ أَلْفُ دينار .

ثم سَأَل الأَعرابىُّ التَّاجِرَ : أَرْجُو أَن تُخْبرَنى خَبرَ الفُولةِ ، حَتَّى أَعْرِفَ أَصْلَهَا .

(١) أكرمه . (٢) معززاً .

فقال لَه التَّاجِرُ : لَقَدْ كنتُ فِى بَدْءِ أَمرى فقيرَ الحال ، أَطُوفُ بالفُول النابتِ فى شوارعِ بَغدادَ ، وَأَبيعهُ ، وَأَسْتَعِين بِذٰلكَ عَلَى العيْش ، فَخَرَجْت فى يَوْمٍ شَديدِ الْبَرْد ، كَثِيرِ الْمَطَر ، وليسَ عَلَى بَدَنى ما يَقِينِى[1] البَرْدَ ، فَتارةً أَرْتَعِدُ لِشِدَّة البرُودَة وتارةً أَقَعُ فى ماءِ الْمَطَر والوَحل ، وأَنا فى حالةٍ كَرِيهة تَقْشَعِرُّ مِنْها الأَبْدَانُ .

وكانَ جعفَرٌ فى ذلك الْيَوْم جالِساً فى قَصْرٍ مُشْرِفٍ عَلَى الشَّارِع ، فَوَقَعَ نَظَرُه عَلَىَّ ، فرقَّ لحالِى ، وَأَرسَلَ إِلَىَّ بَعْضَ أَتْباعِهِ ، فَأَخَذَنى إِلَيْهِ ، وَأَدْخَلَنى عَلَيْه . فلَمَّا رَآنى قال لى : بِعْ ما لَدَيْكَ مِنَ الفُول على مَن مَعى مِنَ الجالِسِينَ ، فَأَخَذْتُ أَكِيلُهُ بِمِكْيال كانَ مَعِى ، فَكلُّ مَنْ أَخَذَ مِكيَالًا مِنَ الفُولِ مَلَأْتُهُ ذَهباً ، حَتى فَرَغَ كُلُّ مَا مَعِى ، وَلَم يَبْقَ فى القُفَّةِ شَىْءٌ ، ثُمَّ جَمَعتُ الذَّهَبَ الَّذِى حَصَلْتُ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنى جَعْفَرٌ : هَلْ بَقِىَ مَعَكَ شَىءٌ مِن الفُولِ ؟

---

(١) يحفظنى .

فَقُلتُ : لا أَدْرِى ، ثُمَّ بَحَثتُ فى القُفَّةِ ، فَلمْ أَجِدْ فيها سِوَى فُولَةٍ واحِدَةٍ ؛ فَأَخَذها مِنِّى جَعْفَرٌ ، وَفلَقَها نِصْفَيْن : فَأَخَذ نِصْفَها ، وأَعْطَى النِّصْفَ الثَّانىَ لِامْرَأَتِهِ وقال : بِكَمْ تَشْترِينَ نِصْفَ هٰذِه الفولَةِ ؟

فقالت : بِقَدْرِ هٰذا الذَّهَب مَرَّتيْنِ ، فَصِرْتُ مُتَحَيِّرًا فى أَمْرِى . وَقُلْتُ فى نَفْسِى : إن هذا منَ المُحَال ، فَبَيْنَما أَنَا فى عَجَبٍ وَاسْتِغْرابٍ ، وَإِذَا المَرْأَةُ تَأْمُر بَعضَ جَواريها بإِحْضارِ قَدْرِ الذَّهبِ المَجْموعِ مَرَّتَيْن .

فقال جَعْفَرٌ : وَأَنَا أَشْتَرى النِّصفَ الآخرَ مِن الْفولَةِ بِقَدْرِ الجميعِ مرَّتَين ، ثُمَّ قال لى جَعفَرٌ : خَذْ ثَمَنَ فُولِكَ ، وَأَمَرَ بَعضَ خُدَّامِهِ بِجَمعِ المال كُلِّهِ ، وَوَضْعِهِ فى قُفَّتِى ؛ فَأَخَذْتُه وَانْصَرَفتُ . ثُمَّ جِئْتُ إِلَى البَصْرَةِ ، واتَّجَرتُ بمَا مَعى مِن المالِ ، فَوَسَّعَ اللهُ عَلَىَّ ، وَلِلهِ الْحَمدُ وَالشكْرُ والمنَّة[1] . فإِذَا أَعْطَيْتكَ فى

(١) النعمة .

كُلِّ سَنةٍ أَلْفَ دينار مِنْ بَعْضِ إِحْسانِ جَعفَر ما ضَرَّنى شَيْءٌ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى حرمه الرشيد على الناس بعد أن قتل جعفراً ؟
(٢) ما الحلم الذى رآه الشاعر وهو نائم ؟
(٣) ماذا فعل الأعرابى بعد أن استيقظ من نومه ؟
(٤) ماذا فعل التاجر مع الأعرابى ؟
(٥) ما قصة الفولة كما حكاها التاجر ؟

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها عبارة مفيدة :
التاجر ، بكاء ، بكى ، وأكرم ، مرًّا ، الأعرابى ، الإكرام ، كل .

(حـ) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة :
جعفر ، الفولة ، المطر ، ملأ ، فرغ ، أخذ .

(د) أكمل القطعة الآتية بوضع كلمات مناسبة فى الأمكنة الخالية منها :
بحثت فى القفة فلم أجد فيها سوى . . . واحدة ، فأخذها منى . . . ، وفلقها نصفين ، فأخذ . . . وأعطى النصف الثانى . . .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
القصة الأولى : الشاب الوفى	٥
القصة الثانية : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . .	٢٢
القصة الثالثة : الطاحونة العجيبة	٣٣
القصة الرابعة : قصة الفولة	٤٣

رقم الإيداع ١٩٧٨/٤٨٤٤

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٤٩٠ – ٥

١/٧٨/٢٤٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)